كان قد زارني بالفندق في ذلك اليوم وحده : صديقي الهندي العزيز محمد أفضل رئيس القسم العربي بإذاعة كل الهند ، والاذاعي المثقف الانسان محسن عثماني ، ثم الأسمر الضاحك الوسيم « فيجاى تشاندر » ، وهو ممثل عظيم من ولاية مادراس في أقصى الجنوب، كنت قد شاهدت له فيلما رائعا باسم « المسيح والشيطان » ، قام هو بانتاجه وبطولته في دور المسيح ، ثم مخرج ودود يعمل بولاية البنجال ، أخذني بقوة الود في سيارته ، لأتناول العشاء مع بعض أفراد أسرته ، المقيمين في ضاحية ساحرة من ضواحي نيودلهي ٠

وفي اليوم التالي ، استطال شبح السفر حتى شحبت له نظراتي ، وأنا في مكتب المستر « فاسنت ساتي » وزير الاعلام والاذاعة ، ودعوته الكريمة لي لزيارة كلكتا في الجنوب ، وكشمير في الشمال ، وعلى مدى ساعات عديدة ، في أيام متفرقة من الزمن الباقي ، عاد الأصدقاء الاذاعيون يستضيفونني أمام الميكروفون ، لأسجل قصصي المؤلفة والمترجمة ، وأحاديث عن الأدب والأدباء المصريين ، وانطباعاتي عن زيارتي لبلادهم ٠

وفي الفجر كان موعد الطائرة ٠٠

يا أصدقائي في بلاد الأساطير والمعجزات ، دعوني أذهب وحدي الى المطار !! لاتزيدوا التهاب عيني بدمعات الفراق ، أتوسل اليكم أن تدعوا لي حقيبتي أرتبها وحدي ، وأحملها الى خارج الفندق !! تغضبون مني ؟! لا يا ملائكة الأرض المكدسين في هذا الركن البديع من العالم !! وناولني أحدهم خطابا ، ما ان هممت بفض غلافه ، حتى هتف بي في مرح :

ـ ليس الآن ، عندما تصبح وحدك في الطائرة ، لعلك تتسلى بقراءة عواطفنا ٠

وامتلأت يداي بخطابات الآخرين ٠

الليل غارق في حلمه الأبدي العتيق ، وضوء السيارة يسبقنا فيلتهم الضباب ، وشريحة قمرية شاحبة ، ترتعد على بوابة الأفق ، وتنهدات الأشجار تلفح قلبي على امتداد الطريق ، ولآلىء الضوء ممتدة هنا وهناك بلا انتهاء ، لست أدري لماذا تذكرت آنذاك ، أن كوكبنا المسكين يدور بأثقاله في الفضاء حول الشمس ، وأن الطائرة بعد قليل ، ستدور بي دورة أخرى مركبة حول الأرض الدائرة ، وأن أسرتنا الشمسية كلها ، تدور بنا دورات قدرية أزلية حول طرف مجرتنا ، وأن الدورة الواحدة من هذا الهول تستغرق مائتي مليون عام ، وتذكرت برجفة عاتية ، أن كل مجرات الكون مهاجرة بأثقالها الى الأبد في أعماق الخواء ، نحو مصيرها الخرافي عند ضفاف الحلم والمجهول ، وأن الحقيقة والحلم يتصافحان